Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأيتُ طفلاً يُسلم نفسَه إلى صدر أمه ويغفو هانئاً بين ذراعيها ، هاجت شجونى وقلت لنفسى : « كذلك كنت من قبل ! » ثم يشُدُّنى واقعى فأرانى ولا أمَّ لى ! نسج الزمان بينى وبينها حجباً كثيفة لا ينفذ منها شعاع ولا يبدو من ورائها شىء .

وأمسكتُ عن الكلام ريثما دخلت السيدة وأخذتْ مكانها بيننا فاستأنفت « آمنة » حديثها قائلة لى :

— سمعتك ياست تتحدثين عن رغبتك فى زيارة أحياء البلدة . لو شئت لأذنت لى فى صحبتك الآن ، ولن تستغرق رحلتنا سوى ساعة أو بعض ساعة .

فأدركتُ على الفور أنها تريد أن تنطلق معى خارج الدار ، لتفضى إلىّ بهمومها .

ولم أتردد ، بل استأذنت مضيفتى وصاحبتى ، وخرجتُ مع آمنة .

وتركت لها أن توجه سائق السيارة إلى حيث تبغى ، فانطلقت بنا إلى الخلاء ، على حافة الصحراء .

وقادتنى إلى مكان منعزل بين كثبان الرمال وراء جبل الظهران ، ثم راحت تكمل رواية المأساة :

* * *

لم تعرف عن نشأتها الأولى سوى ذكرى غامضة لطفلة غريرة لاهية ، ضلَّت طريقها إلى أمها فى زحام كبير لا تدرى اليومَ إن كان زحمةَ سوق أو احتفالا بعيد . وألفَتْ نفسها بعد أيام تعبُر البحر على ظهر سفينة كبيرة ، ثم تُسلم إلى رجل غريب يمضى بها على راحلته فى سفرة عبر الصحراء ، استغرقت نحو أسبوعين قبل أن تلقى بها فى « مدينة الرسول » لتعيش هناك أعواماً ، وتتلقى الدروس الأولى فى مدرسة الرق وسوق العبيد ! !

ولم تكن الدروس فى مبدأ الأمر شاقة ولا مرهقة ، فقد اكتفى السادة من الوليدة بأن تلاعب صبيّة الدار ، وأن تلازمهم كظلهم أقاموا فى البيت أو انطلقوا إلى الملاعب . وكان طعم الحياة هكذا سائغاً مقبولاً ، فإن السادة الصغار لم يكونوا يجدون حرجاً فى أن تشاركهم اللعب ، أو يرون فيها غيرَ رفيقة صباً وزميلة ملعب . حتى شبت وشبوا ، فإذا بها تنزع من بينهم . وتُدْفع إلى قوم غرباء ، يرحلون بها من جديد عبر البيد والقفار . . .

وعبثاً حاولتْ أن تبقى مع من حسبتهم قومَها ، وعبثاً حاول أترابها أن يحملوا أهلهم على الإبقاء عليها ، فقد بدا كأن الأمر مقرر لا يحتمل مناقشة أو رجاء ! ولما حانت ساعة الرحيل تمهلت الصبية عند باب الدار تريد أن تملأ عينيها من منزل صباها ورفاق حداثتها ، فحالت